الفصل الخامس

المعاجم وجهود علمائها

الفصل الخامس

المعاجم وجهود علمائها

لا تعرف أمة من الأمم في تاريخها القديم، قد تفننت في شكل معاجمها وفي طرق تبويبها وترتيبها كما فعل العرب، وقد تعددت طريق وضع المعجم العربي. واليك هذه المجهودات التي بذلت في معاجمنا العربية.

معنى المعجم:

المعجم كتاب يجمع أكبر عدد من الكلمات ويشرحها شرحًا وافيًا عمومها وإبهامها ... فإن قلت: أليس هذا الذي ذكرته ينافي معنى (عجم) لأن معناها الخفاء ... من ذلك قولهم رجل أعجم أي لا يفصح ولا يبين، ومما جاء في الأثر «**صلاة النهار عجماء**». **أي صامتة وسرية**

قلنا: دخلت عليها همزة السلب فأزالت عنها معنى الخفاء والإبهام تقول أعجمت الكتاب أي: أزلت عجمته كما تقول: أقذيت عين فلان، أي: أزلت نصف القذى عن عينه.

أسباب تاليف المعاجم:

هناك أسباب دعت إلى التأليف في هذا الفن منها:

١) حماية القرآن الكريم واللغة العربية من أن يقتحم حرمها دخيل لا ترضى عنه العربية وخاصة عند دخول الفرس والروم في الإسلام.

٢) حفظ هذه الثروة من الضياع بعد موت العلماء.

٣) الحاجة إلى فهم القرآن وذلك لا يكون إلا بمعرفة كلام العرب وأشعارهم معرفة تساعد على فهمه كما قال ابن عباس ﷺ «الشعر ديوان العرب فإذا خفي علينا حرف من القرآن الذي أنزله الله رجعنا إلى الشعر فالتمسنا معرفة ذلك منه».

المراحل التي مرت بها المعاجم العربية:

كان العرب أميين لا يقرءون ولا يكتبون ولكن حباهم الله ذاكرة قوية وحافظة لاقطة فإذا خفي على أحد معنى كلمة لجأ إلى مشافهته العرب لتوضح معناها يسألونهم كما تسأل المعجم ... وكان العربي يؤدي دور المعجم. ففي صدر الإسلام وجدت الفكرة المعجمة في الأذهان ونتيجة للأسباب السابقة بدأ الغربيون يهتمون بهذه اللغة ويكرسون كل جهودهم لجمعها بشتى الوسائل فسلكوا طرقًا متعددة، حتى وصلت إلينا المعاجم كما نراها.. وقد مر تأليف المعاجم بعدة مراحل منها:

١) **المرحلة الأولى:** تتمثل في جميع وسائل خاصة في الألفاظ أو المعاني وقد برز في هذه الناحية كثير مثل الأصمعي في كتابه أسماء الوحوش والغابات والشجر.

٢) **المرحلة الثانية:** وتتمثل في كتب تدل القارئ الذي يعرف المعاني المختلفة للكلمة ولكنه يريد الوقوف على الألفاظ التي تستعمل بواسطتها.

٣) **المرحلة الثالثة:** وتتمثل في كتب تجمع ألفاظ اللغة بطريقة استقصائية، وتشرحها شرحًا وافيًا يزل الإبهام والغموض مستدلين على شرحهم لها بالقرآن الكريم والحديث والشعر الموثوق به. ولكن التأليف في المرحلة الأخيرة لم يسر على طريقة واحدة بل تشعبت منه مدارس ثلاث سار المؤلفون على منوالها، وإليك هذه المدارس:

١- مدرسة التقليبات:

وأنصار هذه المدرسة يضعون الكلمة وجمع تقليباتها تحت أبعد الحروف مخرجًا ولذلك سميت بهذا الاسم فمثلاً كلمة (كبر) تتكون من ثلاثة أحرف هي الكاف والباء والراء وكذلك جميع تقليباتها وهي (كرب، ربك، ركب، بكر، برك) فكل هذه الصور توضع تحت أبعد الحروف مخرجًا وهو مخرج الكاف لأن

مخرجه من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى وهذه المدرسة من أقدم المدارس المعجمية كلها، ويرتبط تاريخ هذه المدرسة بشخصية عبقرية ذات تأثير عميق في ثقافتنا الأدبية واللغوية هو عميد هذه المدرسة الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠ – ١٧٥هـ)، وقد تفرعت هذه المدرسة إلى شعبتين:

أ) شعبة التقليبات الصوتية: وهي التي أسسها الخليل بن أحمد وسار على منهجه الأزهري في تهذيبه وأبو علي القالي بارعه وابن سيده في محكمه، وهي تجعل الكلمات تحت أبعد الحروف مخرجًا وتبدأ بالحلقية.

ب) شعبة التقليبات الهجائية: وهي تنسب إلى مؤسسها ابن دريد صاحب الجمهرة، وابن دريد سار على نهج الخليل في التقليبات إلا أنه خالفه في النظام الصوتي، حيث إنه اتبع نظام الهجائية العادية ومضمون هذه المدرسة هو وضع الكلمة وجميع تقليباتها على تحت أول الحروف في الترتيب الهجائي العادي فالكلمة (كبر) وجميع تقليباتها السابق ذكرها توضع تحت حرف الباء لأن هذا الحرف سابق في الترتيب الهجائي.

٢- مدرسة القافية:

وقد شيد بناء هذه المدرسة الجوهري صاحب الصحاح الذي نسبت إليه هذه المدرسة لأنه أول من أوجد هذا النظام فقد رأى أن نظام التقليبات السابق نظام صعب معقد وليس من السهل تناوله فوضع هذا النظام السهل الذي سار على نهجه ابن منظور في لسان العرب والفيروز آبادي في المصباح المنير، وكذلك أيضًا العلماء في العصر الحديث لسهولة طريقته.

وهذه المدرسة سميت بمدرسة القافية نظرًا لأنها تنظر للحرف الأخير من الكلمة فتجعله بابًا وبعضهم يسميه كتابًا مثل الفيروز في المصباح المنير، والأول فصلاً، فالكلمة السابقة (كبر) توضع في باب الراء فصل الكاف.

٣- مدرسة الهجائية العادية:

وهذه المدرسة أخذت بأبسط النظم المعجمية وهو نظام الأبجدية العادية، أو النظام الألفبائي وتسمى هذه المدرسة الآن المدرسة الحديثة وهي في الواقع ليست حديثة لأن لها جذورًا قديمة حين ألف أبو عمر الشيباني كتابه (الجيم) ولكنه لم يراع في الترتيب إلا الحرف الأول، أما ما بعده فلم يراعه فهو يضع في باب الهمزة كل كلمة مبدوءة بحرف الهمزة دون أن يراعي ما بعدها من الحروف ولهذا نسبت هذه المدرسة للبرمكي الذي رتب المواد ترتيبًا محكمًا سبق به أصحاب المعجمات الحديثة كلها.

وسار على هذا النظام الزمخشري في معجمه (أساس البلاغة) حيث استخدم هذا النظام استخدامًا محكمًا معتبرًا أن أحرف الهجاء ذات بداية ونهاية لا دائرة كما فعل ابن فارس فهو يراعي الأصل الأول فالثاني والثالث من الحروف الأصلية وبالنظر إلى موضعها من الترتيب الهجائي العادي.

وسار على نظام هذه المدرسة:

١) المصباح المنير للفيومي (ت٧٧٠هـ).

٢) محيط المحيط للبستاني (١٨٦٩م).

٣) أقرب الموارد للشيخ سيد الشرتوني (١٨٨٩م).

٤) المنجد للأب لويس معروف اليسوعي.

٥) المعجم الوسيط للمجمع اللغوي المصري (١٩٦٢م).

وغير ذلك من المعاجم التي سارت على هذا النظام.

خامسًا: مدرسة المعاني والموضوعات:

تنسب هذه المدرسة إلى أحد أئمة اللغة والأدب هو أبي عبيد القاسم بن سلام، ولكن هذه المدرسة لم تنشر برغم أن أصحاب هذا النوع قد أدوا للغة العربية خدمات جليلة وأفادوا أصحاب المدارس السابقة من هذه المدرسة فائدة

جليلة.

وفي هذه المدرسة ترتب ألفاظ اللغة بحسب مدلولاتها، وقد عرفت اللغة العربية هذا النوع من المعاجم ولكنه لم ينتشر، ومن أشهر معاجم هذه المدرسة المخصص لابن سيده والذي توسع فيه كثيرًا وهذا النوع من المعاجم يقل الإقبال عليه والاهتمام به لأن كثيرًا من الألفاظ تأتي لمعاني كثيرة والباحث لا يعرف في أي الأبواب ذكر مطلبه وكثير من الصفات يشترك فيها الكائن الحي سواء أكان إنسانًا أم حيوانًا أم نباتًا بل هناك من الصفات ما يشترك فيه الكائن الحي أو الجماد وهذا مما يصعب على الباحث الحصول على مبتغاه.

وقبل أن نبدأ في دراسة هذه الكتب التي سارت على نهج المدارس السابقة والتعريف بمؤلفيها يحسن أن نضع بين يدي القارئ القواعد العامة لكيفية الكشف عن معنى أي كلمة في أي معجم من تلك المعاجم. وسوف نلخصها فيما يلي:

كيفية البحث عن معنى الكلمات في المعاجم:

لكي نكشف عن أي كلمة في أي معجم يجب ملاحظة ما يأتي:

١) الرجوع بالكلمة إلى أصلها وذلك بتجريدها من أحرف الزيادة؛ فمثلاً: «نبعث» ترد إلى «بعث».

٢) إذا كانت الكلمة جمعًا ترد إلى مفردها مثل صحائف ترد إلى مفردها صحيفة ثم تجرد من الزيادة فتصير «صحف».

٣) إذا كان الفعل مضارعًا أو أمر يرد إلى ماضيه فمثلاً «يفهم» و «افهم» يردان إلى ماضيهما «فهم» وكذلك يعد وعد يردان إلى «وعد».

٤) إذا كانت عين الماضي ألفًا يبحث عن أصلها، ويعرف الأصل لها بالرجوع إلى المضارع، أو الإتيان بمصدر الكلمة فمثلاً «قال» مضارعها «يقول» ومصدرها «قول» فنعرف أن أصل ألفها الواو وكذلك باع مضارعها يبيع

ومصدرها بيع فنعرف أن أصل ألفها الياء وكذلك هاب مصدرها هيبة وهكذا.

أما إذا كانت لام الماضي ألفًا فيبحث عن أصلها بالرجوع إلى المضارع مثل رمى يرمي رمي، وغزا يغزو غزو فنعرف أن اللام ياء أو واو. ويعرف الأصل كذلك بالإسناد إلى تاء الفاعل، رميت غزوت، أو إلى ألف الاثنين مثل الولدان رميا الكرة، والجنديان غزوا في سبيل الله، أو نون النسوة مثل السيدات غزون.

٥) إذا كانت الكلمة اسمًا معتلة الوسط مثل باب، يعرف أصل هذه الألف بالجمع على أبواب مثل أسباب فنعرف أن أصلها الواو، ومثل «دار» فيعرف أصل هذه الألف بجمعها على «أدوار» مثل «أفلس» وكذلك يعرف الأصل بالتصغير، فكثيرًا ما سمعنا أن التصغير يرد الأشياء إلى أصولها.

فإذا أردنا الكشف عن معنى الكلمة، وكان لدينا معجم يسير على طريقة مدرسة التقليبات الصوتية نجعل هذه الكلمة تحت أبعد الحروف مخرجًا، فمثلاً «باع» تكون في باب العين، وإذا كان لدينا معجم يسير على طريقة مدرسة التقليبات الأبجدية فتكون في باب الباء لأنها أول حروف الكلمة في الترتيب الأبجدي.

وأما إذا كان لدينا معجم يسير على طريقة مدرسة القافية، فيجعل العين بابًا والباء فصلاً مع مراعاة الحرف الثاني، وإذا كان لدينا معجم يسير على نظام المدرسة الإبجدية العادية، فيجعل الحرف الأول وهو الباء مع مراعاة الحرف الثاني والثالث.

وقبل أن نبدأ دراستنا التفصيلية لمدرسة التقليبات الصوتية يجب أن نعرف مخارج الحروف كما بينها عميد هذه المدرسة وهو الخليل بن أحمد رحمه الله.

مخارج الحروف عند الخليل:

قسم الخليل بن أحمد مخارج الحروف حسب تقلباتها الصوتية إلى تسعة

أقسام:

١) حروف حلقية: العين، الحاء، الهاء، الخاء، الغين.

٢) حروف لهوية وهي: القاف، الكاف.

٣) حروف شجرية والشجر مخرج الفم وهي: الجيم، الشين، الضاد.

٤) حروف أسلية لأن مبدأها أسلة اللسان في مستدق طرف اللسان وهي: الصاد ن السين، الزاي.

٥) حروف قطعية لأن مبدأها من قطع العار الأعلى وهي: الطاء، الدال، التاء.

٦) حروف لثوية لأن مبدأها من اللثة وهي: الظاء، والذال، والثاء.

٧) حروف ذو لقية وهي: الراء، اللام، والنون.

٨) حروف شفوية وهي: الفاء، الباء، والميم.

٩) حروف هوائية وهي: الواو، الألف، والياء.

مخارج الحروف عند غيره:

ولكن كثيرًا من العلماء اتبع في تقسيم مخارج الحروف طريقًا آخر ويظهر فيما يلي:

١- حروف حلقية: وهي ليست كلها في درجة واحدة من الحق فهناك:

أ) حروف تخرج من أدنى الحلق أي قريبة من الفم وهي: الغين، والخاء.

ب) حروف تخرج من وسط الحلق وهي: العين والحاء.

ت) حروف تخرج من أقصى الحلق وهي: الهمزة، والهاء.

٢- حروف لسانية:

أ) إما أن تخرج من طرف اللسان مع أصول الثنايا وهي: الصاد والتاء والدال.

ب) إما أن تخرج من طرف اللسان مع أطراف الثنايا السفلى وهي: اللام والسين.

ت) إما أن تخرج من طرف اللسان مع أطراف اللثة العليا وهي: الظاء، والذال.

ث) إما أن تخرج من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا وهي الظاء، الذال، الثاء.

ج) إما أن تخرج من وسط اللسان مع ما يحاديه من الحنك الأعلى وهي: الشين والجيم، والياء غير السدودة.

ح) إما أن تخرج من أعلى اللسان مع ما يحاديه من الحنك الأعلى وهي: القاف، والكاف.

المدرسة الأولى:

أ- مدرسة التقليبات الصوتية

وعميد هذه المدرسة الخليل بن أحمد في كتابه «العين» وسار على طريقته الأزهري في كتابه «التهذيب» وهما من علماء المشرق الإسلامي، وأبو علي القالي في كتابه «البارع»، وابن سيده في كتابه «المحكم» وهما من علماء المغرب الإسلامي – الأندلس –.

١- كتاب العين

مؤلفه:

أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ولد في عمان على ساحل الخليج العربي سنة ١٠٠ من الهجرة والمتوفى سنة ١٧٥هـ.

نشأته:

نشأ بالبصرة وترعرع فيها وتلقى العلم على شيوخها الإجلاء عمر بن العلاء وعيسى بن عمر الثقفي وقد شافه الأعراب في الحجاز ونجد وتهامة، وتصدر للتدريس بالبصرة والخليل صاحب عقلية فذة حيث ابتكر علم العروض على غير مثال سابق وجمع مفردات اللغة في معجمه بطرقة حاصرة ولم يسبقه إليها أحد وهو أول نحوي عني بدراسة النحو دراسة علمية منظمة وهو أستاذ سيبويه واضع (الكتاب) دستور النحو العربي حتى ليعتبره بعض

الباحثين المؤلف الحقيقي له وأن سيبويه لم يكن سوى ناقل وراو لتعاليم أستاذه.

وكان الدارسون للنحو العربي قبل الخليل يدرسونه على أنه جزيئات يستقل بعضها عن بعض فلما جاء الخليل سلك مسلك الدراسة العلمية المنظمة ومن هنا عدّ زعيمًا ومؤسسًا لمدرسة البصرة النحوية.

تلاميذه:

تخرج على يده الكثير من العلماء الأجلاء منهم: سيبويه – الأصمعي – النضر ابن شميل – ابن شبل وأبو زيد.

منزلته العلمية:

وكان الخليل بارعًا في الحساب والفرائض وفي الأصوات والترجمة من هنا نجد أنفسنا أمام شخصية غريبة التكوين رحيبة المدى نادرة المثال فهو بحق: محدث قارئ ونحوي مشهور وعالم بالشعر والأوزان وبالرياضة وبالترجمة.

وهو أول من ابتكر الضبط بالشكل والحروف الصغيرة المعروف لنا الآن ولم يسبقه إليه أحد. وكان رحمه الله متدينًا ورعًا تقيًا يقول عنه النضر بن شميل أحد تلاميذه «ما رأيت رجلاً علم بالسنة بعد ابن عون من الخليل ابن أحمد» برع في العلوم اللسانية من نحو ولغة، والعلوم الشرعية والرياضية والموسيقى والنغم، ويكفيه فخرًا أنه اخترع علم العروض، ومدحه ابن المقفع فقال: لقد لقيت رجلاً عقله أكبر من علمه.

مؤلفاته:

١) كتاب العين ٢) كتاب العروض.

٣) كتاب الشواهد ٤) كتاب الجمل.

الهدف من تأليف العين:

لقد كان غرض الخليل الرئيسي هو جمع ألفاظ اللغة بطريقة استقصائية واستيعاب كلام العرب وحصر الثروة اللفظية حصرًا شاملاً لأن الرسائل

اللغوية السابقة لا تسير في جمع اللغة على أسس علمية ثابتة، ولا يمكن عن طريق هذه الرسائل جمع اللغة وحصرها حصرًا شاملاً كما أنها لا تخلو من التكرار.

ففكر في استعمال الأبجدية فلم يوفق لأنه وجد أن الألف لا استقرار لها فلما بدأ بالألف كره البدء بالحرف الثاني وهو الباء ولذلك عدل عنها إلى جمع الألفاظ حسب مخارجها، وساعده على ذلك نبوغه في الموسيقى والنغم. ولقد وفقه الله تعالى في المنهج الذي يحقق غرضه وهو منهج الترتيب الصوتي للحروف وتقاليد الأصوات التي تتكون منها الأصول اللغوية، وهي طريقة يؤمن معها التكرار الذي يحتمل حدوثه إذا ما اتبع نظام الرسائل اللغوية التي شاعت في عهده، كما يؤمن معها النقص الذي يحتمل إذا ما ندت عن الذهن لفظة مروية.

منهج العين:

١) جمع ألفاظ اللغة حسب مخارجها فبدأ بالحلقية ثم اللسانية ثم الجوفية وكانت على الترتيب الآتي في نظم أبي الفرج أسامة بن عبد الله المعافري في قوله:

يا سائلي عن حروف العين دونكها ... في رتبة ضمها وزن وإحصاء
العين والحاء ثم الهاء والخاء ... والغين والقاف ثم الكاف أكفاء
والجيم والشين ثم الضاد يتبعها ... صاد وسين وزاي بعدها طاء
والدال والتاء ثم الظاء متصل ... بالظاء ذال وثاء بعدها تاء
واللام والنون ثم الفاء والباء ... والميم والواو والمهموز والياء

وبدأ بالعين، ولذا سمي الكتاب كله العين.

٢) راعى الحروف الأصلية عند جمع الكلمات.

٣) راعى في الترتيب مقدار الحروف مبدأ الثاني ثم الثلاثي الصحيح ثم

الثلاثي المعتل بأنواعه ثم باللفيف بنوعيه اللفيف المقرون مثل نوى، شوى، واللفيف المفروق مثل ونى ثم الرباعي مثل دحرج ثم الخماسي مثل سفرجل ثم ختم كل بحث بالمعتل وأدخل الهمزة في حروف العلة، لأنها تصير في التخفيف إلى أحدها كذيب في ذئب وشوم في شؤم وراس في رأس.

٤) جمع الكلمات المكونة من حروف واحدة تحت نطاق واحد وأشار إلى المهمل معللاً لإهماله بأنه لم يستعمله العرب أو أن القوانين الصوتية تأباه.

وقد ذكرنا أن الكلمات الرباعية والخماسية لابد أن تشتمل على حرف انزلاقي وهي المجموعة في قولهم «مر بنقلٍ» وأن أي كلمة رباعية أو خماسية خالية من أحد هذه الحروف أعجبه إلا ما نص على عربيته.

المآخذ على العين:

١) صعوبة الأخذ من الكتاب.

٢) اشتماله على كثير من التصحيفات مثل اثذعر القوم بمعنى تفرقوا والصواب ابذعر.

٣) اشتماله على أخطاء صرفية واشتقاقية فمن الصرفية قوله ليس في الكلام نون أصلية في صدر الكلام وقال الزبيدي في استدراكه ورد ذلك كثير مثل نهشل.

٤) احتواءه على حكايات المتأخرين ككراع والزجاج.

٥) إهماله أبنية مستعملة ووصفه لها بالإهمال مثل عكس فقال أنه مهمل.

الآراء في مؤلف كتاب العين:

الرأي الأول:

هو أن العين لليث بن المظفر ونسبه للخليل ليقبل الناس على قراءته وشرائه، ومن قال بهذا الرأي النضر بن شميل، وأبو علي القالي، وابن النديم.

الرأي الثاني:

الفكرة للخيل بن أحمد والتنفيذ لليث بن المظفر ومن قال به ابن جني.

الرأي الثالث:

بدأ الخليل في عمل كتاب العين وأتمه الليث ومن قال بهذا الرأي أبو الطيب اللغوي السيرافي وأبو منصور الأزهري.

الرأي الرابع:

الكتاب للخليل لكنه أحرق وأعيد تأليفه، ومن قال بهذا الرأي الخليفة الشاعر ابن المعتز وذكر قصة خيالية تناسب الشعراء وملخصها: أن الخليل نزل ضيفًا على الليث فأكرمه فأعطاه العين مكافأة له ومن كثرة القراءة فيه كاد يحفظه ثم ذكر أن الليث اشترى جارية حسناء فاحفظ ذلك قلب زوجته وأكلته الغيرة فحرقت الكتاب لتنتقم منه فبحث عنه فلم يجده فبدأ بملاطفة زوجته وعاهدها على ترك الجارية فلما علمت صدق كلامه أحضرت له رمادًا، وقالت له خذ الكتاب فحزن حزنًا شديدًا وأملى ما حفظ على النساخ.

الرأي الخامس:

ترتيب أصول الكتاب للخليل والنص لغيره، ومن قال بهذا ثعلب والمستشرق أهلوت وقد بني هذا المستشرق حكمه على إطلاعه على مخطوطتين تبحثان على الألفاظ العربية وتسيران وفق نظام التقليبات فاستنتج من تلقاء نفسه أن هذا الكتاب العين وأثبت أنه ليس للخليل لاشتماله على رواة متأخرين، ولكن ببحث هاتين المخطوطتين تبين أنهما من المحكم لابن سيده.

أدلة النافين أن يكون الكتاب للخيل والردود عليها:

استدل هؤلاء بأدلة منها:

١) خلوا الكتاب من الإسناد: ويرد هذا ابن فارس في كتابه المقاييس والسيوطي في كتاب المزهر نقلاً عن الإسناد.

٢) جهل تلاميذه بهذا الكتاب مثل النضر بن شميل حينما سئل عن الكتاب نفسه فقيل له لعله ألفه بعدك فقال أوخرجت من البصرة حتى دفت الخليل فغير سديد لأن كتب التراجم مثل البغية للسيوطي ونزهة الألباب لابن الأنباري ذكرت أن النضر أقام بالبادية أربعين سنة ثم رحل إلى خراسان فهذا يدل على أنه غاب غيبة طويلة يمكن أن يؤلف فيها الخليل هذا الكتاب. وما يروى أن القالي أنكره، رد أيضًا بأنه كان يفخر بأن كتابه البارع يزيد على العين ٥٦٨٥ كلمة وأنه اقتبس منه أيضًا.

٣) اشتماله على رواة معاصرين كالأصمعي وأبي الدقيش وعلي رواة متأخرين مثل كراع والزجاج يرد هذا أن هذه كانت تعليقات على هوامش الكتاب فأدخلها الناسخ في صميمه.

٤) اشتماله على تصحيفات وتحريفات، فيرد هذا بأنه من عمل الناسخ ولم تسلم منه كافة المخطوطات.

٥) احتوائه على مسائل تتمشى ووجهة الكوفيين مع أنه بصري وهو أستاذ سيبويه فيرد على هذا بأن هذه الأمور دست فيه عمدًا لقصد تشويه حقائقه، وأن الخلافات الشديدة التي كانت بين المدرستين (البصرية والكوفية) سبب هذا التشويه.

وأما ما ذكره أهلورات فيرد، لأن الأستاذ الدكتورعبد الله درويش أثبت أن هاتين القطعتين من المحكم لابن سيده فكان جديرًا به أن يتأنى في حكمه.

والحقيقة:

أن هذا الكتاب للخليل وهذا ما قاله الكثيرون من أصحاب العقول النيرة وأثنى على هذا الرجل كثير من العلماء مثل المبرد وابن دريد وقد أعجب به المستشرق براولنلتش ومن فرط إعجابه بنظريات الخليل صرح بأن نظام العين ليس غريبًا أن يكون للخليل بل الغريب ألا يكون منسوبًا إليه.

الخليل ودعوى التقليد:

ادعى البعض أن الخليل بن أحمد اقتبس منهجه في العين من اليونان ظنًا منهم أن الخليل كان يعرف اللغة اليونانية من حنين بن إسحاق المشهور في الطب، جاء في عيون الأنباء في ترجمة حنين: (وكان شيخه في العربية الخليل بن أحمد ثم انتقل بعد ذلك إلى بغداد).

وجاء فيها أيضًا: (أن حنين بن إسحاق كان يشتغل في العربية مع سيبويه وغيره ممن كانوا يشتغلون على الخليل).

من هذين النصين يظهر ملازمة حنين بن إسحاق للخليل وبما عرف عن الخليل من ذهن ثاقب وفكر بارع أمكن له أن يجيد اليونانية من هنا بني هؤلاء زعمهم هذا وهو أن الخليل قلد اليونانيين في منهجه وطريقته في معجمه.

والحق أن الخليل بن أحمد لم يلتق بحنين إطلاقًا لشيء بسيط وهو أن وفاته كانت ١٧٥هـ وحنين ولد سنة ١٩٤هـ فكيف تأتى لحنين أن يتتلمذ على الخليل.؟

وبذلك تنتفي الصلة بين الخليل وبين حنين بن إسحاق وتسقط دعوى الاقتباس من اليونانية، أضف إلى ذلك أنه لم يثبت أن اليونانين ألفوا معجمًا يسير على طريقة الترتيب الصوتي كما فعل الخليل، إذًا الخليل لم يقتبس من اليونانية.

وادعى البعض أيضًا أن الخليل اقتبس فكرته من الهنود وبني هذا الفريق دعواه على أساس ما يأتي:

١) الصلة بين الهند وجزيرة العرب منذ القدم.

٢) زيادة هذه الصلة وقوتها بعد الإسلام.

٣) وجود عد كبير من الهنود في الخليج وخاصة الذي كانوا يعملون محاسبين لتجار العراق في البصرة وبغداد وباقي المدن وكان فيهم علماء مثقفون.

٤) اللغة السنسكريتية ترتب هجاءها على حسب مخارجها مبتدئة بأبعد الحروف مخرجًا ومنهية بأحرف الشفة كما فعل الخليل بن أحمد في منهجه.

ونستطيع أن ندحض هذه الدعوى بالأمور الآتية:

١) على فرض أنه يوجد طريقة لمؤلف في لغة من اللغات لا يمنع أن يصل إلى مثلها مؤلف آخر في لغة أخرى باجتهاده وابتكاره وخاصة إذا كان ذا عقلية كعقلية الخليل.

٢) ليس من الإنصاف أن نقول أن الخليل اتبع الهند لمجرد وجود هذا الترتيب في اللغة الهندية على حين أنه لم يذكر أحد أن الخليل كان يعرف هذه اللغة.

٣) ليس من السهل نقل ترتيب بجذافيره من لغة إلى لغة أخرى لاختلاف النطق بين لغة وأخرى وبين جنس وآخر.

٤) أضف إلى ذلك أن ترتيب الهجاء في اللغة السنسكريتية ليس هو ترتيب الخليل.

٥) وفوق كل ذلك أنه لا يوجد للهنود في هذا الزمن معجم معروف فكيف يتأتى للخليل أن يقلدهم.

والحق أن الخليل مبتكر المنهج والطريقة وليس مقتبسًا من اليونانية أو السنسكريتية.

وهذا النظام الذي ابتدعه يتفق تمامًا مع الجو الذي كان يعيش فيه جو الأصوات والموسيقى والعروض فلقد نظر في جهاز النطق عند الإنسان وتعرف على حدوده وأجزائه المختلفة في تذوق حروف العربية حرفًا حرفًا ليتين درجة كل حرف ومخرجه وفي نهاية المطاق استقر له ترتيبًا صوتيًا مبنيًا على موقع كل صوت في هذا الجهاز وقد راعى في ترتيبه لهذه الحروف أن بدأ بالحلقية ثم اللسان ثم الهوائية أو الجوفية، كما سبق أن وضحنا.

الخليل والاشتقاق:

لقد كان للخليل بن أحمد اليد الطولى في ظهور نوع جديد من الدراسات اللغوية وهي الاشتقاق ففكرة تقاليب الحروف في أبنيتها لحصر الصور الممكنة للكلمات كان البذرة التي أثبتت هذه الدراسة وأثمرت عند ابن دريد المتوفى سنة ٣١٢هـ وابن جني المتوفى سنة ٣٩٢هـ وابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥هـ.

حيث ألف ابن دريد كتابه المشهور (الاشتقاق) وفيه حاول أن يرد أسماء القبائل العربية وأفخاذها وبطونها وأسماء سادتها وفتيانها وشعرائها وفرسانها إلى أصول لغوية اشتقت منها هذه الأسماء.

وصنيع ابن دريد هذا نوع من التقليب الذي ابتكره الخليل وعنه أخذه ابن دريد في جمهرته وفي كتابه الاشتقاق وابن دريد لاشك أنه توسع توسعًا كبيرًا في هذه الفكرة. وابن فارس ألف كتابه المقاييس وعمق فكرة الاشتقاق ووسعها هو الآخر، وقد اعترف ابن فارس بفضل الخليل في هذا الشأن.

وابن جني حاول في كتاباته الكثيرة في هذا النوع من المدرسة أن يذهب إلى مدى أبعد وأوسع فذكر ما أسماه (الاشتقاق الأكبر) ومعناه إرجاع المادة الواحدة وجميع تقاليبها إلى أصل مشترك في معنى واحد فيقول:

«أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية فتنعقد عليه وعلى تقاليده الستة معنى واحدًا تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك رد بلطف الصنعة والتأويل إليه».

نجد ابن جني يمثل لقاعدته هذه بالأصل (ك، ل، م) فيقلب تصاريفه كلها وفي رأيه أنها جميعًا تشترك في معنى القوة والشدة.

ونظرة واحدة لما يأتي به ابن جني وتصاريف الكلمة وقلبها على الصور الممكنة لها يتضح لنا أنه هو بعينه نظام التقاليب الذي ابتكره الخليل ولا يوجد فرق بين ابن جني والخليل سوى أن ابن جني وجه عنايته للبحث وراء المعاني

المشتركة لهذه التقليبات وهو ما يعرف بدوران المادة حول معنى واحد. أما الخليل فكان كل همه هو جمع الصيغ للكلمات المشتركة في الحروف المعينة.

وهناك فرق آخر هو أن ابن جني لم يكتف بهذا القدر وهو المعنى الكلي المشترك بل انطلق من ذلك إلى استغلال فكرة التقاليب هذه في وضع فكرة أخرى ونظرية ثانية وهي ربط الأصوات بالمعاني ومحاولة إيجاد علاقة بين اللفظ والمعنى وهو ما أسماه إحساس الألفاظ أشباه المعاني.

وقد طور ابن جني فكرته الثانية حتى أصبحت يهتدى بها في مسائل النقد الأدبي فيما بعد.

وعلى الجملة فالخليل وضع أساس الاشتقاق ثم تتابعت الدراسات في هذا الفرع بعده وراج سوقه في عصرنا وكثرت فيه الأبحاث والمؤلفات.

الخليل والدراسات الصوتية:

سبق أن ذكرنا أن الخليل سار في العين على الترتيب الصوتي والحق أن هذا المبدأ كان المنطلق الحقيقي للدراسات الصوتية في اللغة العربية فلقد نجح علماء العربية بعد الخليل نجاحًا يستحق الثناء والإكبار وما أن وضع الخليل بن أحمد فكرة الترتيب الصوتي حتى أخذها عنه تلميذه وحامل علمه سيبويه وأدخل على هذا الترتيب تطويرًا وتبديلاً ومن هنا خالف سيبويه أستاذه في الكثير من جزئيات هذا الترتيب.

فترتي الحروف عند سيبويه على الوجه التالي:

أهـ - ع ح - ق - ض - ل - ر - ن - ط د ت - ط ز س - ط ذ ث - ب م و.

ومن هنا يظهر جليًا أن سيبويه سار على الترتيب الصوتي الذي بدأه الخليل ولكنه أدخل عليه تطويرًا وتعديلاً ومن أهم ما خالفه فيه هو موقفه من الهمزة حيث جعلها أول الأصوات العربية وأبعدها في المخرج وسيبويه بصنيعه

هذا يوافق البحث الصوتي الحديث الذي أثبت أن الهمزة هي أول الأصوات العربية مخرجًا فهي من فتحة المزمار والوتران الصوتيان عند النطق بالهمزة لا يوصفان بالاهتزاز ولا بعدمه.

واستطاع سيبويه أن يفيد كذلك من تصنيف الخليل للأصوات إلى مجموعات بحسب قربها أو بعدها في المخارج ونقل عنه كذلك الكثير من المصطلحات والعبارات الصوتية وكان تطوير سيبويه لعمل أستاذه الخليل هو الأساس لعلماء العربية في مجال الأصوات وقد شاع منهجه كما انتشرت أفكاره الصوتية في جميع المجالات وتلقفها عنه علماء اللغة والقراءات والبلاغيون والصرفيون.

ويكفينا أن نضرب بعض الأمثلة فقط حتى تتضح لنا هذه الحقيقة فمن علماء القراءات ابن الجزري المتوفى سنة ٨٢٣هـ في كتاب ٥ النشر في القراءات العشر.

ومن علماء البلاغة السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦هـ، وأما الصرفيون فقد استفادوا بالدراسة الصوتية التي بدأها الخليل وطورها وعدلها سيبويه في علاجهم لباب الإدغام.

وأما اللغويون فعلى رأسهم ابن جني الذي برز في هذا المجال من الدراسات فلقد فاق الخليل وسيبويه بما قدم من تفريعات وتفصيلات ووضع مناهج وتحليل للأصوات ويظهر هذا جليًا في كتابه «سر صناعة الإعراب» والذي يدل على نضج واكتمال الدراسات الصوتية عند اللغويين في القرن الرابع الهجري.

فالبذور وضعها الخليل، وتعهدها بالرعاية سيبويه ثم حان قطافها عند ابن جني.

أثر العين:

لقد تعرضنا خلال كلامنا لأهمية كتاب العين في الدراسات الصوتية وبينا ما أحدثه في هذه الناحية وكذلك تعرضنا لما أحدثه فيما يعرف بظاهرة الاشتقاق ولا داعي لتكرار الحديث في ذلك، ولأهمية كتاب العين في مجال الدراسات المعجمية قامت حوله الكثير من الأبحاث شرحًا واستدراكًا عليه ونضرب مثال لا حصر على ذلك مختصر العين لأبي بكر الزبيدي والاستدراك له أيضًا.

(وفائت العين) لأبي عمر الزاهد، والتكملة لأبي حامد البشتي والاستدراك لما أغفله الخليل لأبي الفتح الهمذاني وغير ذلك من الدراسات والأبحاث.

وكان ظهور هذا المعجم الدافع الحقيقي إلى قيام دراسة لغوية جديدة في البيئات العربية وهي صناعة المعاجم بالمعني العلمي الدقيق فلقد كانت الدراسات اللغوية في مجال الثروة اللفظية قبل ظهور هذا المعجم مقصورة على رسائل لغوية صغيرة في موضوع واحد وكانت محرومة من فكرة الشمول وتنويع المفردات حتى جاءت هذه الموسوعة العلمية الفريدة في نوعها في ذلك الوقت وسدت هذا النقص وكان فتحًا لطريق جديد من طرق دراسة اللغة ولا يزال أثرها ممتدًا حتى وقتنا الحاضر.

وللعين أهمية فريدة في بابها وهي جملة من المصطلحات اللغوية تناقلتها عند الكتب اللغوية واستفاد مها الدارسون حتى الآن ومن ذلك:

الذلاقة والإصمات والنطع والشجر ... إلخ وهو أول كتاب لغوي يحمل ألقاب الحروف حين قال: فالعين والهاء والعين حلقية لأن مبدأها من الحلق والقاف والجيم والشين والضاد شجرية لأن مبدأها من شجر الفم أي مخرج الفم والصاد والسين والزاي والظاء والتاء والدال نطعية لأن مبدأها من نطع

الغار الأعلى .. إلخ.

وعلى الجملة فإن موارد هذا الكتاب أصبحت مرجعًا علميًا في جميع فروع اللغة المختلفة من نحو وصرف وبلاغة وأصوات ولهجات ومعان ولا يكاد يخلو كتاب لغوي من الاغتراف من هذا البحر الممتلئ بالكنوز.

والحق أن الخليل زائد التأليف المعجمي ويقع في مركز الصدارة في علوم العربية ودراستها وكان وما يزال علمًا شامخًا ومنارة مضيئة لكل باحث في لغة القرآن الكريم على أي مستوى من مستويات البحث في كل عصر وفي كل بيئة من البيئات العربية. فقد كان اللبنة الأولى في تأليف المعاجم اللغوية، وسار على طريقته من جاء بعده، مثل الأزهري في تهذيبه والقالي في بارعه وابن دريد في جمهرته مع اختلاف يسير ن والمعاجم التي أتت بعد ذلك سارت على نهجه في جمع الألفاظ وحشد المعلومات. فرحم الله الخليل بن أحمد جزاء ما قدم للغة الضاد من ذخائر علمية.

معجم التهذيب

مؤلفه:

أبو المنصور محمد بن أحمد المعروف بالأزهري المولود سنة ٢٨٢هـ والمتوفى ٣٧٠هـ.

والأزهري أمام عظيم من أئمة اللغة وحجة من حججها ولم تكن اللغة كل علمه بل اشتهر بها لأنها غلبت على علومه الأخرى كالفقه والحديث والتفسير.

أساتذته:

تلقى العلم على أساتذة أجلاء مثل نفطرية وابن السراج وأبي الفضل محمد بن أبي جعفر المنذري اللغوي.

منزلته العلمية:

برع في فقه الشافعي واللغة إلا أن تمكنه في اللغة فاق كل النواحي بسبب وقوعه في الأشر على يد القرامطة سنة ٣١١هـ ن لأن آسريه كانوا من فصحاء العرب فاستفاد منهم فائدة عظيمة من الألفاظ والنوادر.

مؤلفاته:

١) التهذيب.
٢) كتاب معرفة الفصيح.
٣) كتاب تفسير أسماء الله الحسنى.
٤) كتاب تفسير إصلاح النطق.
٥) كتاب تفسير شعر أبي العلاء.

الهدف من تاليف التهذيب:

إذا رجعنا إلى مقدمة التهذيب استطعنا أن نقف على الهدف الذي كان يرمي إليه وهو: تنقية اللغة من الشوائب التي تسربت إليها على يد سابقيه ومعاصريه حتى نستطيع فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يقول في المقدمة «وقد سميت كتابي هذا تهذيب اللغة لأني قصدت بما جمعت فيه ما أدخل في لغات

العرب من الألفاظ التي أزالتها الأغبياء عن صيغتها وغيرها الغنم عن سننها فهذبت ما جمعت في كتابي من التصحيف والخطأ بقدر علمي».

وكان الحافز له على هذا العمل ثلاثة أشياء هي:

١) تقليد ما سمعه من أفواه العرب الذي عايشهم وأقام بينهم، وذلك لأنه كان قد وقع في أسر القرامطة وكان آسروه من العرب الخلص من هوازن وتميم وأسد.

٢) تصحيح ما دخل كتب اللغة من اغلاط وتصحيفات وتهذيبها من جميع ما لحقها وعكر صفوها.

٣) النصيحة الواجبة على أهل العلم لجماعة المسلمين وإفادتهم جميع ما يحتاجون إليه عملاً بقول الرسول ﷺ.

والأسس التي اعتمد عليها في الصحة ثلاثة أمور هي:

١) السماع من العرب.

٢) الرواية عن الثقات.

٣) النقل عما خطه العلماء بشرط موافقته لما وصل لمعرفته.

ومما لاشك فيه أن هذا المجهود الجبار الذي بذله الأزهري في معجمه يتناسب مع ما كان يرمي إليه ويهدف إليه من وراء تأليف معجمه هذا هو كما صرح به بقوله «لغات العرب التي بها نزل القرآن .... أنزل الله ﷻ بلسانهم وصيغة كلامهم الذي نشئوا عليه وجبلوا على النطق به ... فعلينا أن نجتهد في معروفة ضروب خطاب الكتاب ثم السنن المبينة لجمل الترتيل الموضحة للتأويل لننفي عنا الشبهة الداخلة على كثير من رؤساء أهل الزيغ والإلحاد ثم على رؤوس ذوي الأهواء والبدع، الذين تأولوا بآرائهم المدخولة فأخطئوا وتكلموا في كتاب الله عز وجل بلكنتهم العجمية دون معرفة ثاقبة فضلوا وأضلوا».

ومن هنا يظهر لنا جليًا أن الجهد الذي بذله الأزهري في تقنية اللغة والحرص على سلامتها وتخليصها مما لحقها من أخطاء كان يرمي إلى هدف ديني خالص.

منهج التهذيب:

خالف الأزهري الخليل مخالفة يسيرة في تقسيم الأبواب كما خالفه في المادة التي وضعها في كتابه وفي غير ذلك نجده يحذو حذو الخليل ولا يكاد يخرج عن طريقة فنظام التقليبات الصوتية هو نفس نظام الخليل يقول في مقدمة كتابه «ولم أر خلافًا بين اللغويين أن التأسيس المجمل في أول كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد وأن ابن المظفر أكمل الكتاب عليه بعد تلقفه إياه عن فيه، وعلمت أنه لا يتقدم أحد الخليل فيما أسه ورسمه، فرأيت أن أحكيه بعينه لتتأمله وتردد فكرك فيه، وتستفيد منه ما بك الحاجة إليه ثم اتبعه بما قاله النحويون مما يزيد في بيانه وإيضاحه.

والذي يرجع لمقدمة التهذيب ومقدمة العين يجد التشابه بينهما واضحًا بل تكاد تكون مقدمة التهذيب هي نفس مقدمة العين فالأزهري اقتبس من الخليل ما يتعلق بالحروف ومخارجها وصفاتها وغير ذلك دون أن يغير شيئًا.

وبرغم أنه اتبع الخليل وسار على طريقه خطوة بخطوة إلا أنه خالفه في المهموز وأحرف العلة حيث أفرد المهموز على المعتل أحيانًا عكس الخليل الذي جمع المهموز مع المعتل.

وبرزت شخصية الأزهري بروزًا في جميع المواد مرجحًا ومفسرًا للمواد وواضعًا للقواعد وناقدًا أحيانًا فيقول:

«وقال بعضهم رجل مذعذع إذا كان دعيًا، قلت: ولم يصح لي هذا الحرف من جهة يوثق به والمعروف بهذا المعنى رجل (مدغدغ)» وكان في بعض نقوده يعتمد على أقوال غيره فيقول (أبو عبيد عن الفراء: العجاجية: الإبل الكثيرة،

وقال شمر: لا أعرف العجاجة بهذا المعنى).

ومما يسترعي الانتباه في التهذيب عنايته بالشواهد القرآنية والحديث الشريف عناية تناسب ما عرف عنه بربط القرآن والدين باللغة وكان كثيرًا ما يستشهد بالقراءات القرآنية مثل قوله تعالى ﴿ وعزّني في الخطاب ﴾ [ص/ ٢٣] فال: معناه: غلبني وقرأ بعضهم {وعازني في الخطاب}، أي غالبني وأما قول الله ﷻ ﴿ فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: ١٤] فمعناه قوينا وشددنا وقال الفراء ويجوز عزرنا مخففًا بهذا المعنى كقولك شددنا).

ويلاحظ في التهذيب كثرة ورود المترادفات في الموضع الواحد وتفسيرها معًا مثل قوله (سمعت العرب تقول: كنا في عنة من الكلأ وقنة وثنة وعائكة من الكلأ بمعنى واحد أي كنا في كلأ كثير وخصب).

ويكثر في التهذيب أيضًا عنايته بالنوادر مثل قوله (وفي النوادر عج قوم وأعجموا واهجعوا وحجوا، إذا أكثروا في فنون الركوب).

ونستطيع جمع منهجه في النقاط المختصرة الآتية:

١) جمع ألفاظ اللغة حسب مخارجها فبدأ بالحلقية ثم باللسانية ثم الشفوية ثم الجوفية وبدأه بالعين ووضع الكلمة تحت أبعد الحروف مخرجًا فمثلاً قال قلا، لاق، وقل، ولقى، باب القاف.

٢) قسم الكتاب إلى أبواب وكتب فجعل الحروف أبوابًا والأبنية كتبًا وبدأ بكتاب الثنائي المضاعف، كتاب الثلاث ي الصحيح، كتاب الثلاثي المهموز، كتاب الثلاثي المعتل، كتاب الرباعي، كتاب الخماسي.

٣) نبه على المهمل وسببه وأشار إلى المستعمل الذي أهمله غيره مثال: هبش الذي أهمله الليث فقال هبشه أوجعه ضربًا.

٤) عنايته بذكر البلدان والمواضع والمياه.

٥) اهتم بنسبة كل قول إلى مصدره وكل رواية إلى صاحبها.

وكذلك نستطيع إيجاز مميزاته في هذه النقاط:

١) اهتم بالنوادر: ومن نوادره مر فلان مكعرًا، إذا مر يعدو مسرعًا.

٢) اهتمامه بالشواهد من القرآن والحديث والشعر، وعنايته الفائقة بإيراد القراءات القرآنية ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ [المنافقون: ٨] وقرئ ﴿ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ أي ليخرجن العزيز منها ذليلاً، فأدخل الألف واللام على الحال.

٣) برز شخصيته فكثيرًا ما يقول: قلت عند النقاش مثل قوله في قول الله تعالى في مادة (عمق) ﴿ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج: ٢٧]. قال الفراء لغة أهل الحجاز عميق، وبنو تميم يقولون معيق، وقال مجاهد في قوله: ﴿ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ قال من كل طريق بعيد، وقال الليث في قوله: ﴿ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ قال ويقال «معيق» والعميق أكثر من العميق في الطريق، قال والفج المضرب البعيد، قلت: وقد قال غيره هو الشعب الواسع بين جبلين.

٤) اهتمامه بإيراد المترادفات فقد قال روى أبو العباس عن ابن الأعرابي أنه قال: انجعفت النخلة وانخفضت وانقعرت وتجوخت إذا انقلعت من أصلها.

٥) اهتمامه بنسبة الأقوال إلى أصحابها والآراء إلى أربابها كما مر بنا في الميزتين الثالثة والرابعة.

٦) اهتمامه بذكر البلدان والمياه والمواضع.

عيوبه:

١) صعوبة البحث فيه ومشقة الاهتداء إلى اللفظ المراد بيسر وسهولة.

٢) تعصبه الشديد وذلك يعرضه للغويين وتقسيمهم إلى ثقاة وغير ثقاة،

والذي دعاه إلى هذا رغبته في رواج كتابه واشتهار أمره.

٣) كثرة التكرار فيه نتيجة للأقوال الكثيرة في شرح معنى الكلمة لاعتماده على لغويين مختلفين.

أثره:

هذا المعجم له فضل كبير على لغتنا واستفاد به كثير من العلماء أمثال ابن منظور صاحب لسان العرب الذي اعتمد عليه مع أنه لم يتبع طريقته.

باب العين والخاء مع الباء:

استعمل من وجوهه بخع، خبع، خعب:

(خبع) قال الله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٦]، قال الفراء: أي مخرج نفسك وقاتل نفسك، وقال الأخفش: يقال بخعت لك نفسي ونصحي أي: جهدتهما، أبخع بخوعًا. وفي حديث عائشة أنها ذكرت عمر فقالت: بخع الأرض ففاءت أكلها أي استخرج ما فيها من الكنوز وأموال الملوك، ويقال بخعت الأرض بالزراعة إذا نهكتها وتابعت حراثتها ولم تجمعها عامًا، وبخع الجهد نفسه إذا انهكها قال الشاعر:

ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه لشيء نحته عن يديه المقادر

(خبع) قال الليث الخبع لغة بني تميم في الخبء وامرأة خبعة خبأة بمعنى واحد وقال وخبع السبي خبوعًا إذا فحم من البكاء أي انقطع نفسه.

(خعب) الخيعابة والخيعامة: المأبون.

معجم «البارع»

مؤلفه:

أبو علي إسماعيل بن القاسم المعروف بالقالي البغدادي اللغوي، جدة من موالي عبد الملك بن مروان، ولد بقرية من قرى أرمينية سنة ٢٨٨هـ وذهب إلى بغداد ليتلقى العلم على أعلامها سنة ٣٠٥هـ، ومكث فيها حتى سنة ٣٢٨هـ ثم تركها وذهب إلى الأندلس سنة ٣٣٠هـ وعرف بالأندلس البغدادي.

شيوخه:

أبو بكر دريد، وأبو بكر الإنباري، ونفطريه، والزجاج.

منزلته العلمية:

برع في العلوم اللغوية وكان أحفظ أهل زمانه للغة والشعر ولنحو البصريين. ولقد طاف بالبلاد فترك موطنه الأصلي ومسقط رأسه أرمينيا وسافر إلى بغداد طلبًا للعلم سنة ٣٠٣هـ وكان في الخامسة عشرة من عمره، ومكث فيها خمس عشرين سنة ثم سافر إلى بلاد الأندلس فدخل قرطبة في زمن الخليفة عبد الرحمن الناصر.

ويذكر السيوطي في كتابه المزهر أن الحاجة بلغت به مبلغًا شديدًا حتى أدت به إلى بيع نسخة من الجمهرة لابن دريد كانت عنده بخط أستاذه ابن دريد وكان قد أعطى بها ثلاثمائة مثقال فأبى ولما اشتد به الحال باعها بأربعين مثقالاً. وكتب عليها هذه الأبيات:

أنست بها عشرين عامًا وبعتها ... وقد طال وجدي بعدها وحنيني
وما كان ظني أنني سأبيعها ... ولو خلدتني في السجون ديوني
ولكن لعجز وافتقار وصبية ... صغار عليهم تستهل شئوني
فقلت ولم أملك سوابق عبرتي ... مقالة مكوي للفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجات - يا أم مالك- ... كرائم من رب بهن ضنين

فلما قرأ المشتري هذه الأبيان ردها إليه وأرسل معها أربعين دينارًا أخرى.

وظل أبو علي القالي يجمع هذا المعجم يعاونه في هذا وراق يسمى محمد بن الحسين الفهدي من أهل قرطبة إلى أن وافته المنية عام ٣٥٦هـ قبل أن يتمه ويهذبه فتولى تهذيبه وراقه مع محمد بن معمر الجبائي من واقع الأصول التي كانت بخط القالي نفسه ولما تم، رُفع إلى المستنصر.

هذا وقد اعتمد القالي في مادة كتابه على معجم العين للخليل بن أحمد اعتمادًا كبيرًا كما اعتمد على كتاب (الغريب المصنف) لأبي عبيد القاسم ابن سلام واعتمد أيضًا إلى جانب هذين المعجمين على كتب أبي زيد، أبي حاتم، وابن السكيت وغيرهم وقد أخطأ المستشرق كرنكو حين ذكر أن البارع اعتمد على كتاب الجمهرة لابن دريد لأن المقارنة تثبت خطأ ذلك الرأي.

تلامذته:

تخرج على يديه كثير من العلماء، ومنهم أبو بكر محمد بن الحسن الزبيد، والأندلسي.

مؤلفاته:

الأمالي في الأدب، البارع في اللغة، والمقصور والممدود في النحو.

الهدف من تاليف البارع:

لم يصل إلينا كتاب البارع كاملاً وإنما عثر عل قطعتين منه، الأولى في المكتبة الأهلية بباريس بخط أندلسي ويرجع تاريخها إلى زمن يتأخر عن عهد المؤلف بحوالي قرن من الزمان.

والثانية وهي أكبر من الأولى وجدت في المتحف البريطاني وهي مكتوبة بخط أندلسي أيضًا وترجع إلى نفس الزمن الذي كتبت فيه الأولى وقد نشرها مصورة في كتاب المستشرق (فولتون) في لندن سنة ١٩٣٣م.

وليس في هاتين القطعتين مقدمة هذا المعجم والتي كنا عن طريقها نعرف

هدف القالي من عمله ومنهجه وطريقته كما هو متبع عند جميع مؤلفي المعاجم ولكن الظن الذي يغلب علينا أن القالي كان يهدف إلى نقل الحركة المعجمية التي ظهرت في المشرق إلى المغرب حتى يوقف تلامذته على كنه هذه الحركة ومعرفة أسرارها وكان يرمي من وراء تأليف هذا المعجم تلافي النقص الذي رآه في كتاب العين، كتاب أستاذه ابن دريد وهو الجمهرة فكان يرمي من وراء هذا الترتيب والصحة.

منهجه:

كان من المفروض أن يسير أبو علي القالي وفق ما سار عليه معجم الجمرة لأستاذه ابن دريد والذي أدخل تجديدًا في المعاجم وهي التقليبات الفجائية لا الصرفية أ. يدخل عليها تجديدًا آخر ولكن وجدنا أن القالي يرجع إلى طريقة الخليل وهي ترتيب الحروف حسب المخارج أي التقليبات الصوتية ولكنه لم يوافق طريقة الخليل تمامًا بل أدخل عليها كثيرًا من التغييرات فلم يقسم معجمه على ترتيب الخليل لمخارج الحروف بل على ترتيب سيبويه مع خلاف يسير.

وقد جمع الكلمات حسب مخارجها فبدأ بالحلقي، ثم اللساني، ثم الشفوي، ثم الجوفي، وبدأه بالهاء وبذلك خالف الخليل وها هي:

هـ، ح، ع، غ، ق، ك، ص ج، ش ل، رن، ط، د، ث، ض، ر، س، ظ ذ، ت، ف، ب، م و، أ، ي.

ويمكن إجمال منهجه في النقاط التالية:

١) صحيح الغيب الذي وقع فيه العين، ففرق بين الأبنية المختلفة التي جمعها الخليل في باب واحد فصارت الأبواب عنده ستة، الثنائي المضاعف ويسميه الثنائي في الخط مثل شدّ، والثلاثي في الحقيقة وهو الصحيح والثلاثي المعتل الحواشي – وهو معتل الوسط مثل باع – والأوشاب – وهو المعتل الأول أو الآخر مثل: وعد، سعى –، الرباعي، والخماسي.

٢) العناية بنسبة الآراء إلى أصحابها من اللغويين.

٣) اهتمامه بضبط الكلمة مخافة تسرب اللحن والتحريف إلى الألفاظ فمثلاً قال: الأصمعي كنا على جده النهر بكسر الجيم وتشديد الدال، وتارة يذكر الوزن.

٤) استشهاده بالكثير من الشعر في شرح معنى كلمة، فمثلاً قال: قال الأصمعي الأقه والقاه الطاعة وأنشد قول الأزرق بن أبي لخيلة السعدي:

أما رأيت الأيدي السماطا والقاه والأسنة السلاطا

قال ومنه يقال ألقه الرجل أي أطاعه، وقال المخبل السعدي:

والله لولا النار أصلاها أو يدعو الناس علينا الله

لما سمعنا للأمير قاها ما خطرت سعد على مناها

٦) عنايته بالنوادر والأخبار ومن ذلك قال ابن الأعرابي وغيره قول المخبل السعدي وهو في بعض أسفاره على ابنة الزبرقان بن بدر وقد كان يهجو أباها فعرفته ولم يعرفها. فأنت بغسول فغسل رأسه وأحسنت فراه. ورودته عند الرحلة فقال لها من أنت؟ قالت وما تريد من أسمي؟ قال: أريد أن أمدحك، فما رأيت امرأة من العرب أكرم منك، قالت: اسمي هو رهو، قال: ما رأيت امرأة شريفة سميت بهذا الاسم مثلك، قال: أنت سميتي به، قال وكيف ذلك؟ قال أنا خليدة بنت الزبرقان .

٧) اهتمامه بلغات العرب وخاصة الكلابيين. ولذا كان كثير النقل عن أبي زيد الأنصاري وقد عرف بكثرة الرواية عنهم ومن ذلك قال الكلابيون ومن الرجال الهبق الهاء مفتوحة والباء ساكنة وهو المفرط طولاً ولم يعرفوه في الإنسان اهتمامه بالترجيح بين اللغات كقوله وهجت توهج بكسر الهاء في الماضي وفتحها في المستقبل وهي وهجه والعالي من كلامهم فوهجت.

٨) اهتمامه بنقد الآراء الضعيفة كقوله: قال الخليل تقول للعجهم طير من طير

الماء كأن منقاره حلم قال أبو علي ولا أدري صحته

مميزاته:

١) أمانته في النقل واهتمامه بنسبة الأقوال إلى أصحابها واعتماده على المراجع المشهورة بالصحة وذلك لحبه للصحيح والتزامه، فقد اعتمد على الخليل الرائد الأول في هذا المجال ثم اعتمد على أبي زيد الأصمعي ويعقوب.

٢) عنايته باللغات عناية فائقة فأكثر منها وبالغ فيها فنجد عنده اللغات المنسوبة لغات الكلابيين والنميريين والطائيين والقيسيين وبني أسد وبني تميم وبني غني وأهل مضر والمدينة والحجاز والجزيرة والعراق ... إلخ وكذلك.

٣) ذكره النوادر والأخبار التي تقوم عليها كتب الأمالي والنوادر.

٤) كثرة الشواهد من أسبابها رجوع القالي إلى كثير من اللغويين وأخذ شواهدهم.

٥) إصلاح بعض الاضطراب في أبوب الخليل ففرق بين بعض الأبنية المختلفة التي جعلها الخليل في باب واحد فأصبحت عنده ستة وكانت عند الخليل أربعة.

٦) اهتمامه بالضبط خوفًا من التصحيف والتحريف وذلك على وجهين:

أ) بيان الشكل مثل قوله: (قال الأصمعي: يقال كنا على جَدة النهر بكسر الجيم وتشديد الدال وبالتاء المربوطة وأصله أعجمي نبطي كذا فأعرب ... وقال الأصمعي: رجل له جد بفتح الجيم أي له حظ في الأشياء).

ب) ذكر الوزن مثل قوله: (يقال زج وزججة وزجاج) على مثال فعل فعله بكسر الفاء وفتح العين وفعال بكسر الفاء.

المآخذ:

١) عدم بروز شخصيته بصورة واضحة.

٢) التكرار في شرح الألفاظ ويرجع ذلك للخطة التي اتبعها المؤلف وهي جمع أكبر عدد من أقوال اللغويين من اللفظ الذي يريد تفسيره. وهذا التكرار له مظهران.

أ) التكرار في التفسيرات.

ب) تكرار الشواهد وقد تخلص أحيانًا من تكرار الشواهد بقوله: وقد ألمعنا إلى ذلك آنفًا.

٣) إيراده للتفسيرات المتعارضة للفظ الواحد دون بذل أية محاولة للتوثيق الترجيح مما يجعل الباحث في حيرة.

٤) كثرة الاستطراد لأدنى مناسبة وهذا يجعل الباحث شارد الذهن متعبًا من هذه الاستطرادات التي تضيع عليه فائدة وقوفه على ما يريد بيسر وسهولة.

٥) صعوبة البحث ومشقة الاهتداء إلى اللفظ المراد واستنفاد الوقت الطويل من الباحث لأنه يعتمد على المخارج والتقاليب الصوتية وهذا المأخذ موجه إلى جميع معاجم تلك المدرسة وهي مدرسة التقليبات الصوتية والهجائية.

وهناك أيضًا خلل في البارع يرجع إلى ذكره المادة في أكثر من موطن والاستطراد لأدنى ملابسة.

ومجمل القول أن معجم البارع خطا بحركة التأليف المعجمي خطوات إلى الأمام في المادة فزاد على العين نيفًا وأربعمائة ورقة فيما وقع في العين مهملاً فأملاه مستعملاً.

ويكفي أنه في المنهج ترك نظام معجم أستاذه ابن دريد والذي ظهر اختلاله ورجع إلى نظام الخليل بعد أن أدخل عليه التحسينات التي أشرنا إليها ولم يتخذ أحد معجم البارع موضوعًا لدراسة سوى تلميذه الزبيدي الذي ألف المستدرك من الزيادة في كتاب البارع على كتاب العين.

معجم «المُحْكَم»

مؤلفه:

أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده الأندلسي المولد بمرسية سنة ٣٩٨هـ والمتوفى سنة ٤٥٨هـ كان ضريرًا ومع ذلك نبغ في علوم اللغة وحفظها وساعده على ذلك والده الذي كان من علمائها وصار إمام اللغويين بالأندلس في عصره.

مؤلفاته:

له مؤلفات قيمة تدل على سعة علمه وغزارة مادته وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء منها المخصص ومنها كتاب الأنيق في شرح الحماسة، وكتابنا المحكم.

هدف المحكم:

جمع الكلمات المتفرقة من الكتب والرسائل في كتاب يضمها ويشرحها شرحًا وافيًا مستشهدًا بالقرآن الكريم والحديث الشريف والشعر الموثوق به.

منهج المحكم:

اتبع ابن سيده منهج الخليل بعد الإصلاحات التي أدخلها أبو بكر الزبيدي على هذا المنهج في كتابه «مختصر العين» ولم يغير ابن سيده أي تغيير في هذا المنهج فالمحكم مقسم إلى حروف مرتبة وفق ترتيب الخليل لها حسب المخارج مبتدئًا بحرف العين فالحاء فالهاء فالخاء فالغين فالقاف فالكاف فالجيم فالشين فالضاد إلخ.

ترتيب الأبواب رتب الأبواب وفق ترتيب الخليل لها مع ملاحظة الاصطلاح الذي أدخله أبو بكر الزبيدي فالحرف مقسم إلى الأبواب التالية:

الثنائي المضاعف الصحيح، الثنائي المضاعف المعتل، الثلاثي الصحيح، الثلاثي المعتل، الثلاثي اللفيف، الرباعي، الخماسي. وزاد ابن سيدة على الزبيدي بناءً آخر هو السداسي ذكره في ثلاثة حروف هي الهاء والحاء والجيم.

وهذا التقسيم يعد أحسن تقسيم وصلت إليه مدرسة التقليبات، والفضل في ذلك يرجع إلى أبي بكر الزبيدي فهو صاحب هذا التقسيم وحذا حذوه ابن سيده.

ويمكن إيجاز القول في منهجه في النقاط التالية:

١) جمع الكلمات حسب مخارجها فبدأ بالحلقية ثم باللسانية ثم بالشفوية والجوفية.

٢) قسم الحروف إلى أبواب وهي الثنائي المضاعف الصحيح مثل شدّ، الثلاثي الصحيح مثل فهم، الثلاثي المعتل، الثلاثي اللفيف، الرباعي، والخماسي.

٣) وخالف الكتب السابقة في اهتمامه بقواعد النحو والصرف.

٤) أشار إلى أسماء الجموع ونبه إلى الجمع المركب وبيّن الفرق بين الجمع واسم الجمع.

مميزات الحكم:

١) لقد عنى عناية فائقة بقواعد النحو والصرف فكان يولع بالخلافات النحوية والصرفية.

٢) اهتم بشرح أسماء النباتات.

٣) أكثر من الشواهد الشعبية فلم يكتف بالذي ذكر في المعاجم الأخرى بل زاد عليها كثيرًا.

٤) اهتم بالتنظيم ولذلك أورد الأفعال على شتى صورها من ماض ومضارع وأمر.

٥) ذكر الأعلام واللغات واهتم بالعروض.

عيوب المحكم:

١) صعوبة البحث فيه لاتباعه نظام التقليبات.

التصحيف في الألفاظ ومن ذلك قوله تقعوس الشيخ كبر تقعوس البيت تهدم.

مدرسة التقليبات الهجائية

معجم «الجمهرة»

مؤلفه:

أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، ولد بالبصرة سنة ٢٥٣هـ في خلافة المعتصم، وتوفي سنة ٣٢٥هـ.

أساتذته: أبو حاتم وأبو الفضل الرياش والعتبي.

تلاميذه: السيرافي – أبو الفرج الأصفهاني – الرماني.

أخلاقه:

كان جوادًا سمح النفس لا يمسك بدرهم إلا أن عكوفه على الشراب كان لا يليق بمكانة العلماء مما جعل الناس ينصرفون عنه.

يحكى أن سائلاً سأله شيئًا فلم يجده عنده شيئًا يعطيه إياه، فأعطاه دنا من نبيذ فأنكر عليه أحد غلمانه وقال: تتصدق بالنبيذ فقال: لم يكن عندي شيء سواه وصادف أن أهدي إليه عشرة أدنان من النبيذ فقال لغلامه أخرجنا دنا فجاءنا عشرة.

مؤلفاته:

لقد سجل اسمه في سجل الخالدين بمؤلفاته، فمن أهم كتبه:

١) الجمهرة في اللغة.

٢) المقصور والممدود في النحو.

٣) أدب الكاتب في الأدب.

هدف الجمهرة:

أبرز هدف كتابه في قوله: «حشد الجمهور من كلام العرب وإرجاء الوحدة المستنكر».

منهج الجمهرة:

١) اخترع طريق التقليبات الأبجدية فجمع الكلمات المكونة من حروف واحدة

مهما اختلف تركيبها تحت نطاق واحد ووضعها تحت أول الحروف ترتيبًا فـ لأ رجع، عجز، جعر، عرج، جرع، رعج، يبحث عنها في الجيم لأنها أسبق الحروف في الترتيب الهجائي.

٢) مراعاته نظام الكمية فبدأ بالثنائي ثم الثلاثي الصحيح مثل، فهم، ثم بالمعتل ثم بالرباعي الأصلي ثم بالملحق به، ثم بالخماسي الأصلي.

مميزات الجمهرة:

١) سهولة البحث به نوعًا ما بجعله الكلمة تحت أول الحروف ترتيبًا.

٢) اهتم بشرح الألفاظ اهتمامًا كبيرًا واستشهد لها بالقرآن والحديث والشعر الموثوق به ولم يستشهد بكلام المولدين أمثال بشارة وغيره.

عيوب الجمهرة:

١) اتباعه نظام التقليبات مما يجهد فيه الباحث.

٢) عدم اهتمامه بشرح الألفاظ الدالة على النبات والحيوان.

٣) التصحيف ومن ذلك قوله في مادة (أل) والأل الأول:

قال امرئ القيس:

لمن زحلوقه زل له العينان تنهل

ينادي الأخر الأول ألا حلوًا ألا حلوًا

فأهل العالية يقولون زحلوقه بالفاء وبنو تميم وهوازن بالقاف وهو المكان الزلق الذي يلعب فيه الصبيان ينحدرون من فوق إلى أسفل.

٤) انفراده بأشياء مثل: المنشبه للحال، والرت جمع رتوت وهي الجنازير الذكور، ولكن مثل هذه الأشياء لا تحط من قدره، فلكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة، أسكنه الله فسيح جناته، وأغدق عليه شآبيب رحماته.

المدرسة الثانية: مدرسة القافية

١- تاج اللغة وصحاح العربية

مؤلفه:

أبو نصار إسماعيل بن حماد الجوهري المولد سنة ٣١٣هـ والمتوفى سنة ٣٩٨هـ على بعض الأقوال تلقى العلم على أساتذة أجلاء مثل السيرافي والفارسي وخاله الفارابي وتنقل بين الحجاز وربيعه ومضر لبشاقة العرب الخلس الذين لم تفسد لغتهم نتيجة للاحتفاظ بالعجم.

منزلته العلمية:

برع في علوم اللغة والأدب والنحو وكان أحدوثة زمانه وتدل مؤلفاته على سعة اطلاعه وغزارة مادته، فمن مؤلفاته: تاج اللغة وصحاح العربية في اللغة والمقدمة في النحو وعروض الورق في علم العروض.

الهدف من تاليف هذا الكتاب:

١) قصر الجمع على صحيح اللغة.

٢) التخلي من التصحيف.

٣) تيسير مهمة الشاعر والساجع.

منهجه:

١) أهمل ترتيب الكلمات على المخارج ونظام التقليبات لصعوبتهما ومشقتهما وأتمه بنظام جديد وهو ترتيب كتابة على حروف المعجم واعتبار آخر حرف في الكلمة بابًا وأولها فصلاً ولحظ الحرف الثاني والثالث وقد نظم بعض العلماء هذه الطريقة في قوله:

إذا رمت كشفًا في الصحاح للفظة فآخرها للباب والبدء للفصل

ولا تعتمد في بدئها وأخيرها مزيدًا ولكن اعتمادك للأصيل

٢) تجواله في بلاد ربيعة ومضر جعله يقتصر في جمعه للألفاظ على السماع

والفهم والمشافهة دون الاعتماد على ما في الكتب.

٣) شرح الألفاظ شرحًا دقيقًا مشيرًا إلى اللغات والقواعد النحوية والصرفية وذكر المعرب والمولد والأعلام وكذلك المشترك والمتضاد.

مميزاته:

١) سهولة البحث فيه على المدارس الباحث بسبب جعله الأخير بابًا والأول فصلاً.

٢) دقة تنظيمه أكثر من أي معجم آخر قبله فتراه في الأفعال بنيه على ماضيها ومضارها ومصدرها.

٣) اختصاره في ذكر أقوال اللغويين في شرح بعض الكلمات.

٤) عنايته بالمفاضلة بين اللغات ونقدها مع عدم تجريح أحد من العلماء السابقين على خلاف الأزهري.

٥) اهتمامه بالقواعد النحوية والصرفية وقد نقل عنه السيوطي في كتابه المزهر.

٦) عنايته بالأمثال والأعلام والتعبيرات المجازية والألفاظ التي يحدث فيها لقب.

عيوبه:

١) التصحيف الذي في الكتاب وخاصة في باب المهور والمعتل.

٢) إهماله في بعض الصيغ ويرد على هذا بأنه ليس هناك أحد أحاط بمد في اللغة من مفردات.

٣) الخطأ في شرح بعض معاني المفردات مثل قوله: «عصارة شجر والصواب إنه شجر مر».

ضبط الصحاح:

يظهر لنا من تفسير التبريزي لاسم الصحاح وهو إنه بالكسر جمع صحيح ككريم وكرام وبالفتح مفرد نعت كصحيح.

أثر الصحاح:

لقد أحد الصحاح ضجة كبيرة بين العلماء نظرًا لسهولة البحث فيه فأقبلوا على قراءته والتزود منه، وقال عنه الثعالبي في يتيمة الدهر «كتاب الصحاح في اللغة وهو أحسن من الجمهرة وأوقع من تهذيب اللغة».

وقال عنه القفطي: قد سار في الآفاق وبلغ مبلغ الزقاق.

رحمه الله وجزاه عن العربية خير الجزاء، وإليك مثالاً من الصحاح باب الهمزة فصل السين: (سرا) ساءه يسوء سرأ بالفتح ومساءة ومسائية نقبض سوء والاسم السوء بالضم، وقريء عليهم دائرة السوء، بمعنى الهزيمة والشر ومن فتح فهو من المساءة وتقول هذا رجل سوء بالإضافة ثم تدخل عليه الألف واللام فتقول هذا رجل السوء، قال الشاعر:

وكنت كذئب السوء لما رأى دمًا بصاحبه يومًا أحال على الدم

قال الأخفش: ولا يقال الرجل السوء، ويقال الحق اليقين، وحق اليقين جميعًا لأن السوء ليس بالرجل، واليقين هو الحق قال ولا يقال هذا رجل شوم بالضم.

وأساء إليه تقيض أحسن إليه، والرأي نقيض الحسنى وفي القرآن ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ ﴾ [الروم: ١٠] يعني النار.

والسيئة أصلها سيوئة قلبت الواو ياء وأدغمت، ويقال فلان سيء الاختيار وقد يخفف مثل هين ولين ولين، قال الطهوي:

ويجزون من حسنى بسيء ولا يجزون من غلط بلين

وامرأة سوأة قبيحة، ويقال له عندما ساءه وناءه وما يسوءه وينوءه. وابن السكيت سؤت به ظنًا وأسأت به الظن، قال: يثبتون الألف إذا جاءوا بالألف واللام، وقولهم ما أنكرك من سوء أي لم يكن إنكاري إياك من سوء رأيتك بك

إنما هو لقلة المعرفة بك وقيل في قوله تعالى: ﴿ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ [النمل: ١٥، القصص: ٣٢] أي من غير برص والسوأة وتسويئًا إذا عبته عليه وقلت به أسأت، يقال: إن أسأت فسؤى عليه قال وسئت الرجل سوايه ومساويه مخففات أي ساءه ما رآه. حتى قال سيبويه سألته – يعني الخليل – عن سوته سوائيه فقال هي فعالية بمنزلة علانية والذين قالوا سواية حذفوا الهمزة وأمله الهمز. قال وسألته عن مسائيه فقال مقلوبة وأصلها مساوئه فكرهوا الواو مع الهمزة والذين قالوا مسايه حذفوا والهمزة تخفيفًا، وقولهم الخيل تجري على مساويها أي أنها وإن كانت بها أوصاب وعيوب فإن كرمها يحملها على الجري وتقول من السوء إسنادًا لرجل مثل استاع كما تقول في الغم اغتم.

٢- لسان العرب

مؤلفه:

أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور المولد سنة ٦٣٠هـ المتوفى سنة ٧١١هـ.

منزلته العلمية:

برع في كل العلوم من لغة وأدب ونحو وتاريخ وشريعة وقد ولي القضاء بطرابلس ويدلنا على نبوغه وتمكنه في اللغة كتابه «لسان العرب» وقد اختصر كتبًا قيمة في الأدب منها الأغاني والعقد الفريد.

هدف اللسان:

من حديثه في المقدمة نفهم منه أنه عجب بتهذيب الأزهري ومحكم ابن سيده إلا أنه وجد فيهما مشقة وصعوبة على الباحث لأنهما اتبعا طريقة التقليبات. وذكر أن الجوهري قد أحسن ترتيب مختصره فهو في نحر اللغة كالدرة وفي جوفها كالذرة وفي بحرها كالقطرة علاوة عما فيه من تصحيف.

من حيثه هذا بين المقصود من كتابه: استقصاء اللغة بجميع أمهات الكتب كالتهذيب والمحكم والصحاح مع تيسير البحث على الدارس والباحث منهج لسان العرب:

١) سار على طريقة الجوهري في جعل الأخير بابًا والأول فصلاً مع مراعاة الحرف الثاني والثالث.

٢) شرح الكلمات شرحًا وافيًا مستشهدًا بالقرآن والحديث والشعر مع نسبة البيت إلى قائله.

٣) عنايته بضبط الألفاظ مخافة التصحيف والتحريف.

٤) اهتمامه باللغات والنوادر وقواعد النحو والصرف اهتمامًا لا نظير له.

مميزات هذا الكتاب:

١) سهولة البحث وقد سبقه في ذلك الجوهري.

٢) اتساع مراده لأخذه من الكتب اللغوية السابقة مثل التهذيب والمحكم وحواشي ابن بري.

٣) اهتمامه بنسبة الأبيات إلى أصحابها، وبالنوادر والقواعد النحوية والصرفية.

٤) إهماله بعض المراجع السابقة مثل الجمهرة والبارع وغيرهما.

٥) اتساع مراده مما يجعل الباحث يجد صعوبة في حصوله على موارده بيسر وسهولة.

وإليك مثالين منه:

١- فصل الراء حرف الباء مادة «رسب»:

الرسوب الذهاب في الماء سفلاً، رسب الشيء في الماء يرسب رسوبًا، ورسب ذهب سفلاً ورسبت عيناه غارتا وفي حديث الحسن مصيف أهل النار «إذا طفت بهم النار أرسبتهم الأغلال» أي: إذا رفعتهم وأظفرتهم حطتهم

الأغلال بثقلها إلى أسفلها وسيف رسب ورسوب ماضي يصيب في الضريبة، قال الهذلي:

ضربت بالمرسب رأس البطريق بصارم ذي هبة فتيق

كأنه آلة للرسوب، وقوله أنشده ابن الأعرابي:

فتحت من سالفه وفي قفا عبد إذا ما رسب القوم طفا

قال أبو العباس: معناه أن الحلماء إذا ما نرزنوا في محالفهم طفا ه بجهله فزاد بجهله والمراسب الأواسي والرسوم الحليم، وفي النوادر الرسب والروسم الداهة والرسوب الكمرة كأنها لمغيبها عند الجماع.

وجبل راسب ثابت وبنو راسب حي من العرب وفي العرب حيان ينسبان إلى الراسب: حي في قضاعة وحي في الأمد الذين منهم عبد الله بن وهب الراسبي.

٣- مادة أخرى، الخاء حرف الباء:

(خضعب): الخضعب الضخم الشديد، والخضعبة المرأة السمينة. والخضعة الضعيف، وتخضعب أمرهم اختلط وضعف.

القاموس المحيط

مؤلفه:

أبو ظاهر محمد بن يعقوب المعروف بالفيروز آبادي المولود بإحدى بلاد الفرس سنة ٧٢٩هـ والمتوفى بإحدى مدن المدن باليمن الشمالية.

نشأته ومنزلته العلمية:

نشأ بكارزين مسقط رأسه وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وكان لا ينام حتى يحفظ مائتي سطر وتلقى علومه في أول حياته على والده وترك بلدته في الثامنة من عمره وذهب إلى شيراز ولم يقتنع بهذا بل ذهب إلى بغداد ودرس في المدرسة النظامية وتلقى اللغة عن ابن الخباز وسافر إلى مصر وسوريا وتركيا والهند واليمن وقد برع في كل العلوم من شرعية ولغوية مما جعل السلطان «مراد» يجعله مؤدب ولده الأمير أبي زيد.

مؤلفاته:

١) القاموس المحيط.

٢) الدر النظيم المرشد إلى مقاصد القرآن العظيم.

٣) البلغة في تراجم أئمة اللغة.

هدف القاموس:

لقد رأى الفيروز آبادي انصراف الناس عن أمهات الكتب كالتهذيب والمحكم إما لسوء الترتيب وإما للإفاضة في الشرح وإقبالهم على الصحاح وهو جدير بذلك ولكنه أهمل نصف اللغة أو أكثر فكان هدفه جمع اللغة في كتاب مختصر وتتبع الصحاح بالنقد والاستدراك.

منهج القاموس:

جعل الأخير بابًا والأول فصلاً مع مراعاة الثاني والثالث كالصحاح ولكنه أتى بجديد:

١) ترتيب الأسماء الجامدة كجعفر فيبحث عنها حسب ورودها في باب الراء فصل الجيم وكذلك الأسماء الأعجمية مثل سمرقند فتكون في باب الدال فصل السين.

٢) اهتمامه بالاختصار وذلك فيما يلي:

أ) الرموز التي وضعها للمعاني المختلفة مثل (م: معروف)، (ع: موضع)، (ج: جمع)، (جج: جمع الجمع)، (ة: قرية)، (د: بلدة).

ب) إشارته إلى المؤنث بقوله وبالهاء، كقوله ضارب وبالهاء يقصد ضاربة.

ت) حذف الشواهد وعدم نسبة الآراء إلى أصحابها.

٣) فصل الواوي من اليائي بخلاف الجوهري فإنه جعل الواوي واليائي في باب واحد.

٤) اهتمامه بالأعلام والنواحي الطبية ومصطلحات العلوم.

عيوبه:

١) عدم نسبة الأبيات إلى قائلها والآراء إلى أصحابها واللغات إلى قبائلها.

٢) اختصاره الشديد مما جعل عباراته غامضة.

٣) اهتمامه بأشياء لا دخل لها في اللغة كالأعلام والنبات والفوائد الطبية.

أثر القاموس:

أحدث دويًا عظيمًا بين علماء اللغة قديمًا وحديثًا فترجم إلى الفارسية والتركية وتولى الزبيدي شرحه في كتاب تاج العروس ليزيل غامضه ويوضح مبهمه. وإليك مثالين منه:

مادة (ث، ق، ل):

«الثقل» كعنب ضد الخفة، ثقل ككرم وثقلاً وثقالاً فهو ثقيل وثقال كسحاب وغراب (ج) وثقل بالضم محركة متاع المسافر وحشمة كل شيء نفيس مصون ومنه الحديث «**إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي**» و «**الثقلان**

الأنس والجن» والأثقال كنوز الأرض ومتاعها والذنوب والأحمال الثقيلة واحدة الكل ثقل بالكسر وثقله تثقيلاً جعله ثقيلاً أثقله حمله ثقيلاً وأثقلت وثقلت ككرم فهو، ثقل استبان حملها والمثقلة كمعظمة رخامة يثقل بها البساط ومثقال الشيء ميزانه من مثله وواحد مثاقيل الذهب وامرأة ثقال كسحاب مكفال ليوازن ويعبر ثقال بطيء وثقل الشيء بيده ثقلاً طراز ثقله وثقاقل عنه ثقل وتباطأ والقوم لم ينهضوا للنجدة وقد استنهضوا لها وارتحلوا بثقلهم محركة والكسر والفتح وكعنبة وفرحة أي بأثقالهم وأمتعتهم كلها، والثقلة بالفتح ويحرك ما يوجد في الجوف من ثقل الطعام وبالفتح نعسه تغلبك، وثقل كفرع فه ثقل وثاقل اشتد مرضه وقد أثقله المرض والنوم واللؤم فهو مستثقل. وثقال الناس وثقلاؤهم من تكره صحبته وثقل العرفج والثمام ككرم تروت عيدانه، وسمعته ذهب بعضه، والثقل بالكسر (ع) وألقى عليه مثقايله مؤنثة، ودينار أقل وثاقل (د) وأصبح ثاقلاً أي أثقله المرض.

مادة (و، ع، ق):

الرعيق كأمير وغراب صوت يسمع من بطن الدابة إذا مشت فعله كوعد، ورجل وعق كعدل وصخرة وكتف، شرس سيء الخلق، ضجر، منبرم، وبه وعقه شراسة ووعقت علي يا رجل كورثت عجلت – وما أوعفك – ما أعجبك وواعقه (ع) والتوعيق التعويق والخلاف والعبث والنسبة إلى الشراسة.

المدرسة الثالثة

هذه المدرسة تجعل الحرف الأول بابًا مع مراعاة الحرف الثاني والثالث وهدفها تيسير البحث على الدارس والباحث وأهم معاجم هذه المدرسة:

١- أساس البلاغة

مؤلفه:

أبو القاسم محمد بن عمر بن أحمد المعروف بالزمخشري نسبة إلى زمخشرا إحدى قرى خوارزم من بلاد الفرس، ولد سنة ٤٦٧هـ وتوفي سنة ٥٣٨هـ.

نشأته ومنزلته العلمية:

نشأ نشأة كريمة وتلقى العلم على أشهر شيوخ عصره مثل ابن المظفر البيسوري ومحمود بن جرير الطبري الأصفهاني، وشيخ الإسلام أبي منصور نصر الحارثي.

وقد نبغ في كل العلوم وألف بها مؤلفات تدل على نبوغه وتفوقه على معاصريه وأقرانه، فقد ألف في علم اللغة:

١) أساس البلاغة. ٢) جواهر اللغة.

وألف في علم النحو:

١) النموذج. ٢) الأمالي. ٣) المفصل.

وهذا الأخير عني العلماء بشرحه، والتعليق عليه، من أشهر شروحه شرح بن يعيش. وألف في التفسير كتابه العظيم «الكشاف» وغير هذه المؤلفات كثير.

هدف أساس البلاغة:

من ينظر في هذا الكتاب يبدو له أن هدفه تمييز المعاني الحقيقية عن المعاني المجازية لأن هذه الناحية يتناولها معجم من المعاجم السابقة، وساعده على هذا الهدف دراسته المستفيضة للقرآن الكريم وتآليفه الكشاف.

منهج أساس البلاغة:

١) جعل الحرف الأول بابًا والثاني فصلاً، ولكنه يشر إلى ذلك صراحة.

٢) أثناء شرحه للكلمة يبدأ بالمعنى الحقيقي ثم يأتي بالمعنى المجازي.

٣) كان يستشهد بالقرآن والحديث والشعر الموثوق به مع نسبة الأبيات إلى قائلها.

وإليك مثالين منه:

مادة (ح، د، ن):

خادنته: صاحبته وهو خدني وخدينني وهم أخواني وأخوتي، وهو خدتهد أي: حدثها وهي خدنة ﴿ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ﴾ [النساء: ٢٥] ﴿ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخْدَانٍ ﴾ [المائدة: ٥] وهو يخادن أخدان سوء وأخدان صدق، وبينهما مخادنة مخاضنة وهي المقاصة والمكاسرة بالعينين.

مادة (ح، د، ف):

حذف بالحصى رمى بها من بين إصبعه، قال امرئ القيس:

كأن الحي من خلفها وأمامها إذا لجلته رجلها حذف أعسرا

ورمى بالمخذفة: وهي المقلاع، ومن المجاز دابة خذوف سريعة حذف بالحصى من شدة سيرها وأتان خذوف بلغ من سمنها أنك لو خذفتها بحصها لساخت في شحمها، كقوله: تسرخ فيه الإصبع، وسمعتهم يقولون: عيناه تخاذفتا الدمع.

مميزات أساس البلاغة:

١) براعة أساليبه واشتمالها على القرآن والشعر والمثل والحديث.

٢) اهتمامه بالأساليب المجازية بعد المعنى الحقيقية.

عيوبه:

لا عيب في المعجم إلا أنه أطلق اسم المجاز ولم يبين أنواع المجاز من كتابة

واستعارة ومجاز مرسل فأطلق على كل أولئك اسم المجاز.

كما أنه يطلق المستعار كما في قوله: «واعتسرت الكلام إذا تكلمت به قبل أن تميزه قال الجعدي:

فدع ذا وعد إلى غيره وشر المقالة ما يعسر

وهو مستعار من إعتسار الناقة وهو ركوبها عسيرًا غير مروضة. ولكن هذه العيوب لا تنقص قدره، فجزاه الله خير الجزاء.

٢- المصباح المنير

مؤلفه:

أحمد بن محمد علي المقرئ الفيومي المتوفى سنة ٧٧٠هـ.

هدفه:

الناظر في مقدمته يظهر له أن هدفه تأليف كتاب مختصر في اللغة يستفيد منه الناشئ ويسترشد به المبتدئ.

منهج الفيومي:

١) سار على طريقة الأبجدية العادية إلا أنه سمى الحرف الأول كتابًا والثاني فصلاً مع مراعاة الثالث.

٢) لم يهتم بالشواهد إلا في القيل النادر.

٣) اهتمامه بالضبط بذكر ألفاظ مشهورة البقاء مثل عنق وأعناق كتاب وكتب.

٤) شرحه الألفاظ بإيجاز مع حذف الأعلام والحوادث غالبًا.

وإليك مثالين منه:

(أ، ك، م).

(الأكمة): تل وقيل شرفة كالرابية وهو ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد وربما غلظ وربما لم يغلظ والجمع أكم وأكمات مثل قصبة وقصب وقصبات وجمع الأكم آكام مثل جبل وجبال وجمع الآكام أُكُم بضمتين مثل

كتاب وكتب وجمع الأكم آكام مثل عنق وأعناق.

(د، ل، ج):

أدلج إدلاجًا مثل أكرم إكرامًا سار الليل كله فهو مدلج وبه سمي ومنه مدلج اسم قبيلة.

مميزاته:

١) الاهتمام بالضبط مخافة التحريف.

٢) الاهتمام بالنواحي الصرفية والاشتقاقية بإيجاز.

عيوبه:

١) عدم الاهتمام بالشواهد القرآنية والحديث والشعر أفقده ناحية هامة في اللغة وهذا لا يحط من قدره، وكفى أنه سهل البحث على الناشئ فرحمة الله جزاء ما قدم.

٣- مختار الصحاح

مؤلفه:

محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي.

الهدف منه:

الناظر في مقدمته يتبين له أن الهدف هو اختصار الصحاح ليستفيد منه كل عالم فقيه ومحدث وأديب.

منهجه:

١) سار على طريق الجوهري وهو جعله الأخير بابًا والأول فصلاً، وفي بداية هذا القرن أمر ناظر المعارف (وزير المعارف) حسين فخري باشا بإعادة طبع هذا الكتاب على نفقه الوزارة وعهد بهذا الأمر إلى الشيخ حمزة فتح الله المفتش الأول للغة العربية، فرتبه على طريقة الأبجدية العادية. فجعل الأول بابًا مع مراعاة الحرف الثاني والثالث.

٢) أضاف أشياء ليست في أصل الصحاح وأشار إليه بقوله «قولت».

٣) اهتم بالضبط بذكر بعض الأوزان.

٤) لم يهتم بالشواهد.

واليك مثالاً منه:

(ص، ب، ح).

(الصبح) الفجر قلت. وهو أيضًا اسم من الإصباح، والصباح ضد الشماء وكذا الصبيحة تقول منه: «أصبح الرجل» وصبحه الله تسبيحًا، وصحبته قلت له: عم صباحًا، وفلان ينام الصبحة بفتح الصاد وضمها مع سكون الباء فيها أي: ينام حين يصبح، تقول تصبح الرجل والمصبح بوزن المذهب موضع الإصباح ووقته، قلت: وكذا المصبح بضم الميم والصبوح الشرب بالغداة وهو ضد الغبرق، تقول منه صبحة من باب قطع.

وأصبح الرجل شرب «صبرحًا» فهو مصطبح، والمرأة صبحي مثل سكران وسكري.

والمصباح السراج وقد استصبح به إذا أسرجه، والشمع مما يستصبح به أي: يسرج به والصباحة الجمال وبابه ظرف فهو صبيح وصباح بالضم.

مميزاته:

١) سهل على المبتدئ الوصول إلى غايته دون مشقة أو تعب.

٢) اهتمامه بالضبط مخافة التصحيف والتحريف.

عيوبه:

١) اختصاره الشديد يجعل المبتدئ في حاجة إلى معجم آخر أوسع منه.

٢) عدم اهتمامه بالشواهد مما أفقده ناحية هامة في اللغة.

وهذا لا يحط من قدره فقط وفي بحاجة المبتدئ، فجزاه الله عن العربية خير الجزاء.

معجم المجمع اللغوي المصري

قام بتأليفه أربعة جهابذة من علماء هذا العصر وهم الأساتذة:

١) إبراهيم مصطفى. ٢) أحمد حسن الزيات.

٣) حامد عبد القادر. ٤) محمد علي النجار.

وأشرف على طبعه المحقق الكبير الأستاذ/ عبد السلام هارون.

الهدف منه:

تقديم معجم قريب المأخذ سهل التناول يفي بحاجات العصر ومتطلباته يجمع بين الماضي والحديث وينقذ المعجم من حالة الركود والجمود.

منهجه:

١) سار على طريقة الأبجدية العادية فجعل الأول بابًا مع مراعاة الثاني والثالث.

٢) أدخل ما دعت الضرورة إلى إدخاله من ألفاظ معربة أو مولدة أو دخيلة أو محدثة كما تحركت به ألسنة الأدباء أو سطرته أقلامهم.

٣) في ترتيب مواد المعجم اتبع الآتي:

قدم الأفعال على الأسماء والمجرد على المزيد والحسي على العقلي والحقيقي على المجازي واللازم على المتعدي.

وفي الأفعال: ذكر الثلاثي المجرد، ثم الثلاثي المزيد بحرف مثل أحسن وشارك وعظم، ثم الثلاثي المزيد بحرفين مثل ارتفع، انبعث، تشارك، تكلم، أصفر. ثم الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف مثل: استخرج، أخشوشن، إحضار، ثم الرباعي المزيد بحرف مثل تضعضع، ثم الملحق بالرباعي ثم مضعف الرباعي.

٤) لجأ إلى الرموز لتيسير البحث (ج: جمع)، (ب: بيان ضبط عين الكلمة بالحركة التي توضع فوقها أو تحتها)، (و: للدلالة على تكرار الكلمة لمعنى

جديد)، (مو: مولد)، (مع: معرب)، (د: دخيل كالأكسجين والتليفون)، (مج: ما أقره مجمع اللغة)، (محدثة: للفظ الدخيل الذي استعمله المحدثون في هذا العصر).

٥) استشهد بالقرآن والحديث والشعر والمثل.

٦) لم يذكر الألفاظ الحوشية الجوفاء أو التي هجرها الاستعمال لعدم الحاجة إليها أو قلة الفائدة منها، مثل بعض أسماء الإبل وصفاتها وأدواتها وطرق علاجها.

وإليك مثالين من المعجم الوسيط:

مادة (ر، ج، ن):

رجن بالمكان رجونا أقام به والحيوان الغالبيون فهو راجن، وهي راجن وراجنة، والدابة رجنا حسسها وأساء عقلها حتى تهزل، وحبسها في المنزل على العلف ولم يسرحها، ويقال: رجنت وفي حديث عمر «فإن الرجن للماشية عليها شديد ولها مهلك» وفلانًا استحبا منه.

(أرجن) رجن والدابة رجنها، وارتجن اختلط وفسد والزبد طبخ فلم يصف وفسد – وأمر القوم اختلط – بالمكان – رجن الرجين – السم القاتل وأرجينه الجماعة (ج) رجائن.

(المرجونة) القفة الصغيرة (ج) مراجين ويقال هم في مرجونة: في اختلاط وارتباط لا يدرون أيقيمون أم يظعنون.

مادة (ج، و، ي).

جرى فلان: جوى: مرض صدره وضاق صدره من داء لا يكاد يبين عنه لسانه وتطاول مرضه واشتد وجده من عشق أو حزن فهو جوي، ويوصف أيضًا بالمصدر فيقال هو هي وهما وهم وهن جوى. والماء تغير وأنتن وفي حديث يأجوج ومأجوج (فتجوي الأرض من نتنهم) والبلد ومنه لم يوافاة فكرهه.

ويقال جرى الشيء (جاوي) الإبل وبها دعاها إلى الماء (جوى) السفهاء ونحوه رفعه (اجتوى) لم يستمر الطعام والشراب في بعض الأمكنة. ونزع إلى وطنه وكره المكان الذي هو فيه والبلد: جوية، وفي حديث عرينة (قدموا المدينة فاجتروها) ويقال اجتوى القوم أبغضهم (اجتوى البلد) جوية (الجواء: الواسع من الأودية والفسحة وسعة البيوت وما توضع عليه القدر من جلد وغيره (الجر) الفضاء بين السماء والأرض وفي القرآن الكريم: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل: ٧٩].

وما اتسع من الأرض وانخفض وجو كل شيء بطنه وداخله (ج) جواء وأجواء (الجو) من كل شيء جوه وما اتسع من الأرض وانخفض والقطعة من الأرض فيها غلظ (الجوة) الرقعة في السقاء وغيره والنقرة في الجبل وغيره (جواني) الشيء: باطنه، وضده البراني وفي حديث سلمان (إن لكل امرئ جوانيًا وبرانيًا فمن أصلح جوانبه أصلح الله برانيه).